

التقنيات الرقمية للبحث وتطبيقاتها في السياق الجزائري

بوشعالة علجية نبيلة

أستاذة محاضرة

بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام

- الجزائر -

الكلمات المفتاحية: التقنيات الرقمية، البحث العلمي،
منهجية البحث، الإثنوغرافيا الافتراضية،
هندسة البيانات.

Résumé:

Cet article propose une lecture des techniques digitales de recherche scientifique à la lumière des besoins exprimés par les chercheurs en sciences de l'information et de la communication interrogés. Il met l'accent sur les possibilités d'exploration des terrains de recherche, permises par les techniques digitales, tout en soulignons les difficultés rencontrées par les chercheurs algériens dans leurs appropriations (faiblesse de l'environnement numérique, déficit dans les infrastructures de recherche scientifique, problèmes liés au contenu des formations dispensées au niveau de nos universités).

كثيرا ما يواجه الباحثون في العلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة وعلوم الإعلام و الاتصال بشكل خاص صعوبات بحثية تتعلق في مجملها في جمع البيانات، نظرية منها كانت أو تطبيقية. وإذا كانت رقمنة الكثير من المراجع العلمية، مجانيته وظهور مصادر بديلة، في أغلبها مقرصنة، قد قلل من الضغوطات التي يواجهها الباحث في المجتمعات غير المنتجة للمعرفة¹، على غرار الجزائر، فإن جمع البيانات الميدانية يظل هاجس الكثير من الباحثين بالنظر لمختلف أنواع المقاومات التي قد تعترض الباحث منها على سبيل الذكر وليس الحصر رفض المبحوثين من مختلف المجتمعات المهنية التعاون مع الباحث وكذا رفض المؤسسات الاقتصادية وغيرها استقبال الباحثين، سواء كانوا طلبة دكتوراه أو أساتذة، مما يعذر على الباحث التحكم في البناء الإبستمولوجي للبحث الذي يعتمد على التحكم في السياق الميداني للدراسة، بالإضافة إلى الإلمام بالمجال النظري.

وإذا رجعنا إلى سياق تطور العلوم الإنسانية في الجزائر يمكننا أن نلاحظ قلة الاهتمام بهذه العلوم و تهميشها المقصود في العقود الفارطة² نظرا للتصور السائد لدي الطبقة السياسية الحاكمة من أنها قد تشكل مصدر إضطراب لنظام الحكم القائم و للمخيلة التي كانت لصيقة

بالإثنولوجيا من أنها امتداد للفكر الاستعماري (أحمد بن ناووم، 1999)³. ويلح مدوي بأن تواجد علم الاجتماع في فضاء التعليم العالي كان مرتبط بشرطية الحيد السلي تجاه المشكلات الاجتماعية التي يفرضها السياق الجزائري "وإذا كان علم الاجتماع مسموح له فكان ذلك مقترن بشرط التخلي على كل نظرة نقدية للمجتمع". (محمد مدوي، 2007). بالإضافة إلى ذلك فإن نظام التعليم الجامعي الجزائري يبدو منفصلا تماما عن المجتمع، خاصة فيما تعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يجعل حلقات الوصل التي يحاول بعض الباحثين وضعها بين الجامعة والمجتمع تبدو غريبة عن الممارسات السائدة. حتى أن اعتماد نظام الألم دي⁴ الذي يهدف في أساسه إلى مد الجسور بين الجامعة و المؤسسات الاقتصادية، السياسية و الاجتماعية لجعل الجامعة أكثر حيوية، بمعنى آخر، تساهم في تطور المجتمع، لم يفلح في تغيير الصورة النمطية عن الجامعة الجزائرية. كل هذه المعطيات أدت إلى عدم تطور التحقيق الميداني كجزئية أساسية في فهم المجتمع. هذه الصعوبة⁵ يتقاسمها الباحث في علوم الإعلام أو العلوم الإنسانية والاجتماعية مع بقية المهن التي تحتم إستقراء الواقع، كميادين الإعلام أو الإحصاء. علما أنه من الناحية المنهجية

تنظيم المعرفة من خلال إستقراء الواقع يمكن الباحث من الإبتعاد عن الذاتية وتبني بعد نقدي حيال النظريات التي غالبا ما تبني على سياقات اجتماعية تختلف بشكل كبير في ممارساتها، خطاباتها وثقافتها عن المجتمع الجزائري.

بمقابل ذلك ولجت التكنولوجيات الرقمية كافة المجتمعات الإنسانية، ولو بنسب مختلفة، مشكلة بذلك فضاءات للنشر، التواصل وكذا الإبداع. وأضحى ينظر للفضاءات الاجتماعية الرقمية كإمتداد طبيعي للفضاء الاجتماعي التقليدي أو كمساحات جديدة للتواصل الاجتماعي. ورغم غياب إتفاق لدي الباحثين حول إعتبارها فضاء عمومي كبقية الفضاءات العمومية التقليدية، إلا أنها تشكل ملتقى يتقاسم فيه أفراد المجتمع الكثير من الأشياء، منها ما يتعلق بالحياة العامة، وهو ما يحيلنا للتصور الذي يعطيه جورقن أبرماس⁶ للفضاء العمومي من أنه مساحة للتداول والحوار، أو تصور أنا أرندت⁷ التي تنظر إليه من جانب اللقاء الاجتماعي الذي تنصهر فيه الذات.

من هذا المنطلق أصبحت الفضاءات الرقمية مادة بحث جديدة بالنظر لأنواع الخصبة للقاءات التي طورها الأفراد بتبنيهم إياها من خلال اكتسابهم للمهارات الأولية التي تسمح بذلك. وأكثر من ذلك اكتسبت التقنيات الرقمية لجمع

البيانات الميدانية شعبية لدى العديد من الباحثين في المجتمعات الغربية من خلال ما أصبح يعرف بدراسات الإنترنت (كاسيلي، 2010 وريني وويلمان، 2012) حيث أصبح بإمكان الباحث الولوج في العديد من مجتمعات البحث الافتراضية سواء عبر تبني تقنية الإثنوغرافيا الافتراضية أو توزيع الإستبيان رقميا وكذا إنجاز مقابلات عبر الوسائل التي يمنحها الوب التشاركي، 2.0 أو الوب المفاهيمي 3.0. إذن أصبح للإنترنت دور في تطبيق أدوات البحث الكمية والكيفية على حد السواء.

ما هو أكيد هو أن التقنيات الحديثة للاتصال وكذا الإعلام الآلي صارا متلازمتين تخدمان بشكل كبير البحث العلمي في مجالات الاتصال كغيرها من بقية العلوم، حيث أن تلاقي علوم الإعلام والاتصال مع بقية العلوم، إنسانية وتقنية، يجعلها أكبر تقبلا للتغيرات الجوهرية التي تحدث حاليا في مجال البحث العلمي، مسايرة بذلك التطورات التي تشهدها المجتمعات في نظمها الاتصالية.

الإشكالية :

تكمن الإشكالية التي يطرحها هذا المقال في فهم أهم المعوقات التي تواجه الباحث الجزائري في علوم الإعلام والاتصال في تطبيقاته للمناهج الرقمية للبحث العلمي.

أو بالأحرى ما هي الأهمية التي تمثلها التقنيات الرقمية للباحثين في مجال الإعلام والاتصال؟ وما هي الصعوبات التي يواجهونها في تطبيقها على مجالاتهم البحثية؟ وللإجابة على الإشكالية، التي تتعلق بمرحلة البناء التقني للدراسة، اعتمدنا على تقصي التقنيات المستعملة في المجتمعات المختلفة من أجل عرضها في إيجاز، ثم لجأنا لتقنية الملاحظة بالمشاركة، من خلال رصد سلوكيات طلبة الدكتوراه لعلوم الإعلام والاتصال الذين نقوم بالإشراف عليهم ومن خلال أيضا جمع البيانات عن طريق تقنية المقابلة الموجهة مع مجموعة من طلبة الدكتوراه والأساتذة على مستوى المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام، وفق تعيين قصدي و ذلك خدمة لأهداف البحث. لذلك اقتصرنا على طلبة الدكتوراه والأساتذة الذين سبق لهم وأن لجأوا لهذه التقنيات سواء كبديل للتقنيات التقليدية أو لأن مواضيعهم البحثية تتعلق بمعطيات الواب في حد ذاته مثل الصحافة الإلكترونية أو الفضاءات الرقمية للتواصل الاجتماعي. علما أنه تبين لنا في هذه المرحلة بأن جودة التقنيات الرقمية وقلة استخداماتها لم يسمح بعد بدمقرطتها وسط الباحثين. ولقد شمل دليل المقابلة عدة محاور تعلقت في أساسها بالتعرف على التقنيات الرقمية

المتبعة من قبل المستجوبين و كفايات تطبيقها في سياقاتهم البحثية بالإضافة إلى التعرف على أهم المعوقات التي تواجههم في ذلك.

1. آليات جمع البيانات عبر الأنترنت :

إذا كانت آليات جمع البيانات الميدانية من خلال إستغلال موارد الإنترنت أصبح مقبولا من الناحية المنهجية، مع ترك مجال لحس الباحث الإبداعي أين يمكنه تصور تقنيات تلبي احتياجاته البحثية، إلا أنه يجب التذكير بأن تطبيق تقنيات البحث التقليدية في الفضاء الافتراضي يخضع لنفس الشروط التي تملحها منهجيات التحقيقات المعتادة من البناء الإستمولوجي الصارم للدراسة بما يسمح بالتحكم في مفاهيمها وكذا التحكم في منهجية البحث التي تعتبر العمود الفقري لأيّة دراسة علمية. لأن الاستغناء عن التحضير الجيد للتحقيق الميداني من شأنه أن يقلل من قيمة النتائج المتوصل إليها. كما أن الاعتماد على التقنيات الرقمية تملحها الإشكالية المطروحة، لكن الضعف المسجل في التكوين في منهجيات البحث العلمي من شأنه أن يؤثر سلبا على الأبحاث المنجزة من قبل طلبة الدكتوراه وكذا الباحثين، حيث تقول في هذا السياق الأستاذة ق. ه بأنه «لا أعتقد أن التكوين الجامعي في الجامعات الجزائرية يقدم تكوينا في مجال

المنهجية العلمية يستحق التقدير ذلك أنه يقدمون الدروس المنهجية كتقنيات فقط على شاكلة "خطوات الاستبيان، أنواع الملاحظة، خطوات دراسة حالة. إلخ) ولا يقدمون معها الجوانب الأخرى الأكثر أهمية وهي الأطر المرجعية والتموقعات الاستمولوجية للبحث، وكذا الأطر التحليلية، لذا لا يعرف الطالب أو الباحث نهائيا التفريق بين مرجعيات وأطر تحليل البحث وذلك لسيطرة المنهج الإمبريقي بشكل كبير⁸

من جهة أخرى لا يمكن للتقنيات الرقمية أن تغني الباحث عن اللجوء للتقنيات التقليدية التي تعتبر جد أساسية لفهم المعطيات المحصل عليها. إذ يقول ريبيار في هذا الشأن بأنه "يتبين بأن الإعتماد على التقنيات الرقمية في تحليل المحتوى يكون كدعم للخبرة البشرية بدل أن تكون مبتغى الباحث" (ريبيار، 2011). بمعنى أن هذه التقنيات بقدر ما تسمح بجمع قدر كبير من المعطيات في فترة وجيزة نجدها تعقد عملية تحليلها، لذلك يرى ريبيار بأن تدخل خبرة الباحث في علوم الإعلام و الاتصال أو العلوم الإنسانية بصفة عامة، خلال مرحلة جمع البيانات تسمح بجمعها بصفة منهجية مما يسهل تحليلها باعتبار أن قراءة المعطيات تعتبر عنصرا أساسيا لفهم ظاهرة معينة، إذ يمر ذلك عبر تفتية⁹ البيانات

والتي تصبح ممكنة من خلال التحكم في السياق النظري للدراسة.

علما أن الاعتماد على تقنيات التحليل الكمي للمعطيات، خاصة المادة الإعلامية، بالإستيعانة بنظام الحاسوب¹⁰، قد شكل في الماضي القريب انشغالا كبيرا بالنسبة للباحثين في مجال علوم الإعلام والاتصال. هذا النوع من التقنيات سمح بإدخال معطيات كمية خلال البحوث الكيفية، لذلك غالبا ما تدرج مثل هذه التقنيات كآليات للبحث الكيفي الكمي. وظل التصور بشأنها على أنها تعتبر دعامة للبحث العلمي وليست غاية للبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية على وجه الخصوص، بما في ذلك علوم الإعلام والاتصال.

لكن التطور التقني خلال العشرية الأخيرة سمح بظهور الكثير من الآليات التي تسمح بتحصيل كم هائل من المعطيات في ظرف جد قصير. لكن بنظر ريبيار "ما هو جديد هو السرعة التي تسمح بها حاليا المناهج الرقمية في معالجة كميات معتبرة من المعطيات... لكنها بالمقابل تتميز بضعف المؤشرات التي تمنحها وبالإضافة إلى عدم تعمقها في التحاليل الكيفية للمحتويات الإعلامية"¹¹. ما هو جديد اليوم أيضا هو وجود فرق بحث متعددة التخصصات، تشرك مختصين في الإعلام الآلي واللذين يقدمون دعم أساسي للباحثين في العلوم

الإنسانية خلال مرحلة جمع البيانات الميدانية. لكن مشاركتهم تكون خلال مرحلتين في البحث وهما : جمع البيانات الميدانية وعرضها، في حين يبقى تحليل المعطيات خاصية الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ويمكن تلخيص هذه التقنيات فيما يلي :

1. تقنيات البحث عن المعطيات، ويتم توظيفها من خلال الإستيعانة بمحركات البحث التي يمنحها الإنترنت مثل قوقل التي تفرض الإلمام بمختلف العمليات التي يسمح بها محرك البحث للوصول للمعطيات العلمية الصحيحة بتوجيه الباحث نحو قواعد البيانات المتخصصة.

2. تقنيات جمع المعطيات الميدانية، وذلك من خلال إمكانية تطبيق أدوات جمع المعطيات المتفق عليها (الإستبيان الإلكتروني، الملاحظة، المقابلة وغيرها). بالإضافة إلى ذلك تسمح أدوات تحليل هندسة وتصميم الموقع بدراسة هذا النوع الاتصالي الجديد.

3. تقنيات عرض المعطيات التحليلية و ذلك بالاستعانة بالبرمجيات التي تجعل المعطيات أكثر مرئية، وهذه الخطوات لا يمكن إعتبارها جديدة في سياق بحوث علوم الإعلام والاتصال، إذ أن تطبيقها كان يمر عبر برمجيات ثابتة، في

حين مع تطور الإنترنت أصبح بالإمكان الإستعانة بهذه الشبكة من أجل الوصول إلى مرئية أفضل للنتائج.

ويشترط في تطبيق هذه الأدوات، ولو أن دراستنا تخص فقط تقنيات جمع المعطيات الميدانية¹²، أن يوفق الباحث في ضبط السياق المنهجي للدراسة و كذا وضع التععيد النظري بما يسمح بالانتقال السلس للبحث الميداني مثل ما هو الحال بالنسبة للتقنيات التقليدية. لما نأخذ مثلاً تقنية الملاحظة المنظمة سواء أكانت بالمشاركة أو لا، فإنها مثلما تركز في الواقع المادي على شبكة ملاحظة فالأمر كذلك بالنسبة للواقع الافتراضي، وهي أهم صعوبة يمكن أن تطرح على الباحثين في علوم الإعلام والاتصال. حيث أن العملية الاتصالية في الفضاءات الرقمية تسير ضمن نسق معقد، يتميز بوجود هويات مستعارة ومشاركات كثيفة، يغيب فيها الإلتزام بقواعد المحادثات العمومية. هذه الوضعية تشكل صعوبة في تحديد العناصر التي تتوافق مع الإشكالية المطروحة. كما أن الإشكال الآخر يكمن في كيفية ولوج مجموعة إفتراضية خاصة إذا تعلق الأمر بمجموعات مغلقة أو مجموعات متخصصة في ميدان محدد. في مثل هذه الوضعية بالضبط يصبح عامل مهنية الباحث نقطة فيصلية، إذ أن سعة معرفة الباحث فيما تعلق بالموضوع

الذي يكون بصدد البحث فيه هي التي تمكنه من الإنضمام إلى المجموعة، حيث يمكننا الملاحظة بأن المجموعات المتخصصة تكون بدورها في حاجة لمن يضيف لرصيدها المعرفي ويشارك بشكل فعال في حيويتها وديمومتها و كذا مرئيتها. بالمقابل نجد أن الباحث يواجه نفس المعوقات التي تطرحها الملاحظة في المجتمع الواقعي، منها علي سبيل الذكر تلاشي البعد النقدي بعد فترة طويلة من الملاحظة و إنصهار الباحث داخل عينته البحثية لدرجة أنه يصبح جزئية أساسية فيها.

وهنا نجد أن الصعوبة الأساسية تكمن في تحديد الباحث للعناصر التي يريد ملاحظتها ليتمكن من التخلي على ما هو ليس أساسي لبحثه. لكن هل يمكن ولوج مجموعة إفتراضية مع الاحتفاظ بشخصيته (بورديو/ 1978). وهل تقبل المجموعة بوجود باحث وسطها في حالة ما إذا كان الباحث يريد الإفصاح عن هويته. أما في حالة ما إذا أراد الباحث إخفاء هويته، فيحيلنا ذلك إلى طرح مشكل أخلاقيات البحث العلمي ومدى التزام الباحث بذلك. هل يمكن أن يتخفي الباحث خلف شخصية وهمية ويسجل آراء الأشخاص وتفاعلاتهم دون علمهم. علما أن مثل هذه التقنيات تتطلب من الباحث المشاركة في المجموعات

الإفتراضية من خلال نشاطات النشر، التعليق والرد. وهنا نجد الإشكال الأساسي يكمن في أن الباحث خلال اختباره لميدان بحثه بالمحادثة يمكن أن يقع في أخطاء تجعل المجموعة تتبنى حياله مواقف سلبية، قد تصل للإقصاء.

وإذا كان الكثير من الباحثين الممرنين قد يتنبه لهذا الإشكال مما يسمح لهم بإطراء تعديلات وتصحيح المسار فإن الباحث المبتدئ كثيرا ما يبتعد نظره عن أهداف بحثه دون شعور منه. وإذا كان الجيل الصغير من الباحثين ممن تتراوح أعمارهم ما بين 20 و30 أو ما يسمى بجيل الإنترنت¹³، أي المولود مع ظهور الإنترنت أكثر إنسجاما مع التقنية من سابقه، فإن النقطة الفاصلة تبقى دوما التحكم في الأسس المنهجية. كما أن الملاحظة بالمشاركة تشترط بالإضافة إلى ما سبق ذكره معرفة شاملة للموضوع الذي يريد الباحث تقاسمه مع مجتمع بحثه، حيث أن التمكن من الموضوع يسمح للباحث ببناء شبكة علاقات تسمح له بتطوير ملاحظاته والانتقال لتقنية أخرى بغرض تأكيد معطياته وهي تقنية المقابلة. هذه التقنية بدورها أصبح بالإمكان تنظيمها عبر الوسائل التي يسمح بها الوب التشاركي، من خلال الانضمام إلى شبكات التواصل الاجتماعي. إذ من بين خصائصها، في حالة ما إذا وظفت بالشكل الصحيح، أنها

تسمح للباحث بريح الوقت وإنجاز عدة مقابلات في ظرف قصير. تشترط هذه التقنية بدورها بناء دليل مقابلة وفقا للشروط المذكورة سابقا، يعني أن يحتوي هذا الدليل على محاور أسئلة تكون نابعة من إشكالية أساسية، كما يفرض على الباحث التوظيف المتوازن لمصطلحات الدراسة خلال وضع الأسئلة.

في حين أن التقنية الأخرى التي تبدو الأكثر استعمالا حاليا تكمن في التوزيع الآلي للإستبيان الإلكتروني من خلال التحكم في تقنية "قولل فورمز"¹⁴ وباستخدام لغة النص الفائق في البرمجة. علما أنها تطرح إشكال أساسي من الناحية المنهجية يكمن في عدم تحكم الباحث في عينته باعتبار أن نظام هذه التقنية يوزع أليا الاستبيان على كل المجتمع الافتراضي ممن يريد أن يجيب على الاستمارة. هذه الأداة التي تعتبر في مجال العلوم الإنسانية من أضعف الأدوات تقل أهميتها خلال توظيفها عبر الواب. بالإضافة إلى ذلك برزت أساليب جديدة لتحليل المواقع الإلكترونية وتسمى بمنهجية الشبكة من خلال تحليل سجلات المتصفحين. و يضع سيبيستيان روكات¹⁵ ستة طرق لتحليل المواقع الإلكترونية، تتمحور حول تحليل استخدامات الموقع، تحليل النص التشعبي وتحليل التشجير¹⁶، شبكات العلاقات

للمواقع، تحليل سوسيوسيميائي، التحليل السوسيولوجي للمحتوي. في حين يجزم الباحث بأنه لا توجد طريقة فضلى للتحليل وإنما يضبط كل باحث تقنيته وفق أهداف البحث وكذا التساؤلات التي شملتها الدراسة.

كل هذه التقنيات مجتمعة و أخرى لا يسع المجال لحصرها أو حتى لذكرها نظرا لتعدددها ولاستعمالاتها المختلفة تطرح أكثر من إشكال في السياق الجزائري بالنظر للمعوقات المادية التي تكتنف مجال البحث في علوم الإعلام والاتصال في الجزائر.

2. عدم تمكن الباحث من التقنيات الرقمية :

يرجع بعض المبحوثين ضعف استخدام تقنيات البحث الرقمية في الجزائر إلى مشاكل هيكلية منها المتعلق بضعف ولوج الإنترنت في المجتمع الجزائري، حيث يقدر عدد المشتركين في الشبكة ب18 مليون، أي ما نسبته 37 في المائة من عدد السكان. وهي أرقام تبين بأنه لا يمكن اعتباره وسيلة اتصال جماهيرية، بالإضافة إلى التدفق الضعيف للإنترنت الذي يعذر على الباحث إنجاز عمله حيث يصعب عليه تصفح المواقع باسترسال بسبب بطء فتح الصفحات ضعف إلى ذلك انقطاع الربط أثناء الاستخدام، وعدم تحكم الباحث في تقنيات البحث الرقمي. هذا ما يحيلنا للإشكال

الأساسي وهو الهوية الرقمية التي تميز مجتمعاتنا، حيث تبين المؤشرات الرسمية ضعف ولوج الهاتف الثابت وكذا الإنترنت في المجتمع الجزائري، زد إلى ذلك الضعف المسجل على مستوى التزويد بتقنية الجيل الثالث أو الرابع من الربط بالإنترنت. ورغم التطور المسجل خلال السنوات الأخيرة¹⁷، وفق ما أوفى به التقرير الذي يقيس مجتمع المعلومات الصادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات، إلا أن تعميم استخدام التقنيات الحديثة والربط بالإنترنت لا يزال ضعيفا مقارنة بالمجتمعات المتطورة. ومن بين انعكاسات هذا الضعف الهيكلي هو استحالة الاستخدام الكامل للموارد التي يوفرها الإنترنت بسبب غياب الدفع الإلكتروني والمجانية المحدودة لبعض التطبيقات. وتشير طالبة الدكتوراه س. ي إلى أن "الكثير من التطبيقات غير مجانية، كما أن البرامج المعلوماتية التي تعطي فترة تجربة مدتها شهر تكون غير كافية لإنجاز البحث"¹⁸.

إلا أن ضعف البيئة الرقمية ليس العائق الوحيد أمام تطور هذه التقنيات في سياق الدراسة، لأنه لما نلقي نظرة على برامج التدريس يمكننا إدراك قلة الاهتمام التي توليها الجامعات في العلوم الإنسانية والاجتماعية على العموم ومعاهد وكليات علوم الإعلام والاتصال على وجه الخصوص

للتكوين في مجال البحث عبر الإنترنت. كما تفسره طالبة الدكتوراه أ.ب التي تشتغل حول موضوع يتعلق بمروية الصحافة الإلكترونية، حيث تقول بأنه "يجب إدراج تقنيات البحث الرقمية في مناهج الدراسات الجامعية، كما أنه على الجامعات، من خلال مخابر البحث، أن تقتني البرامج اللازمة لإنجاز ذلك"¹⁹ إذ يؤكد العديد من الباحثين بأن الضرورة دفعهم للتكوين الذاتي في البحث الآلي وفي كيفية الاستفادة من الموارد التي يزخر بها الإنترنت، بما في ذلك فضاءات التواصل الاجتماعي. مع ذلك يصر الكثير منهم على عدم تحكمهم في تقنيات البحث الآلي وعلى حاجتهم الماسة لتطوير قدراتهم ومهاراتهم في هذا المجال بالضبط : "أعتقد أن التكوين الذي توفره الجامعة في منهجية البحث العلمي غير كاف، كل المهارات التي اكتسبتها في مجال تقنيات البحث الرقمية كانت نتيجة مجهودات ذاتية و أبحاث في الكتب المخصصة لذلك. لدي صعوبة مع تقنيات البحث الرقمية التي تستلزم استخدام البرمجيات، إذ أنني لست متمكنة منها رغم الأهمية التي تكتسبها في المجال الذي أنا بصدد دراسته"²⁰

إذ يمكن ملاحظة بأن استغلال الباحثين للموارد التي يوفرها الإنترنت يكون من خلال القيام بالبحث المبسط عن طريق

محركات البحث خاصة منها قوقل بدل البحث المعقد الذي يعتمد على خطوات تقنية غالبا ما يجهلها الباحثون. كما نسجل أيضا عدم تحكم الباحثين في العديد من البرامج التحليل الإحصائي سواء التي تسمح باختيار عينة الدراسة وتحديد مجتمع البحث أو تلك التي لها علاقة بتحليل البيانات. العجز مسجل أيضا في التحكم في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، بل أن الكثير من الباحثين لا يتحكمون في طريقة سير هذه الشبكات بما فيها فايسبوك، وذلك رغم الشعبية التي يحظى بها وسط المجتمع الجزائري. إذ تشير الأرقام الرسمية إلى وجود أكثر من 18 مليون جزائري²¹ مشترك في هذه الشبكة، التي تعتبر مجتمع بحث مفتوح للطلبة و الباحثين، إلا أن قلة من تحسن استغلاله لأهداف البحث العلمي.

وهنا تستوقفنا الشروط التي وضعها مورييس أنجرس²² لإجراء الملاحظة من أن تكون مستوفية لمحدد أساسي وهو أن يتحكم الباحث في المرسل، بمعنى يجب تقديم هوية المشاركين في العملية الاتصالية ويقصد بالهوية هنا مختلف الأبعاد التي تكونها، بدءا من الجنس إلى المسار المهني والثقافي ونشاطاتها المختلفة في الحياة الاجتماعية، في حين أن الإشكال الذي تطرحه الملاحظة بالمشاركة في المنتديات

الرقمية هو غياب مؤشرات واضحة تمكنا من الجزم بأن ما يعرضه المتصل يطابق الواقع، لأن الهويات الرقمية ليست واضحة المعالم وتخفي في كثير من الأحيان هويات خلافية، بمعنى أن هناك من يتخفى وراء شخصية وهمية لأغراض غير معلنة، مما يحث بعض الصدمات خلال تفاعل المشاركين مع المنشورات.

لذلك يؤكد أنجرس على أن الملاحظة بالمشاركة، باعتبارها من أهم تقنيات جمع البيانات، تعتمد على حس الباحث وثقافته العملية. هذا يعني أنه يتحتم على الباحث أو حتى الطالب الذي يتوجه نحو الإثنوغرافيا الافتراضية أن يكون متمكنا من آليات تطبيق هذه التقنية على مجال بحثه. ومن بين هذه الشروط أن يقوم بضبط سياق الملاحظة وشبكة تتضمن ماهية العناصر التي يجب على الباحث ملاحظتها باعتبار أنها تخدم بشكل مباشر إشكالية بحثه.

3. التقنيات الرقمية كبديل :

بات أكيد اليوم أنه بالإمكان إدراج التقنيات الرقمية ضمن المنهج العلمي، بالنظر للأهمية التي تحوزها تقنيات الإعلام والاتصال في الواقع الاجتماعي و بالنظر للتنامي المستمر للدور الذي تؤديه في المجتمع. كما أن تصور المنهج ضمن سياقه الابدستيمولوجي يعني ضرورة توافق التقنيات الموظفة لجمع

المعطيات مع النظريات الموظفة لتفسير الظاهرة الملحظة. لكن عدا ذلك، تطبيق التقنيات الجديدة في حد ذاته يطرح عدة أسئلة، منها ما يتعلق بمدى تفوق الباحث في تجاوز بعض الصعوبات الميدانية.

بالنظر للصعوبات السالفة الذكر هل يمكن أن تشكل التقنيات الرقمية بديلا للتقنيات التقليدية: "بالتأكيد يمكنها أن تساعد جدا، لأن هناك قاعدة منهجية عظيمة يمكنها أن تغير كل شيء مفادها أنه في السابق كان الباحث يأخذ عينات لدراساتها ثم يعمم نتائجها على باقي المجتمع الحقيقي ولكن الانترنت والمجتمعات الافتراضية هي مجتمعات أم كاملة وتقدم نتائج دقيقة لذا لابد من الاشتغال بهذه التقنيات لمعرفة الخطاب الاجتماعي الجديد والذي انتقل إلى العالم الافتراضي"²³، إلا أن الأستاذة ط.ف.ز ترى بأن ذلك لا يتأتى إلا من خلال إبرام شراكات مع القطاعات الاقتصادية الفاعلة في مجال تكنولوجيات الإعلام، حيث يسمح الاحتكاك بها من تطوير مهارات لدي الباحثين للخوض في هذا المجال. حيث ترى بأن هذه التقنيات من شأنها أن "تكسب الباحث ربحا في الوقت و في المجهود بالنظر للسرعة الكبيرة لجمع المعطيات عبر الوسائل التقنية"²⁴ وتقول ذلك رغم يقينها بأنها

لا تزال تحتاج لتطوير أكثر من أجل رصد الممارسات الاجتماعية المعقدة.

في حين يدرج الأستاذ ب.ج محور آخر يمكن من فهم الإشكال في تجسيد هذه التقنيات، وهو عدم التحكم في الآليات التقنية الجديدة لذلك يري بأن الباحث "يحتاج لمساعدة تقنية من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة. إذ غالبا ما يقوم التقني المتخصص في مجال الإعلام الآلي بالاستجابة لحاجياتنا ولمساعدتنا على التحكم في المصطلحات التقنية. أعتقد أنه أصبح لزاما علينا إدراج وحدات للمهارات التقنية في البرامج الدراسية وكذا تكوين الأساتذة في هذا المجال"²⁵ مع ذلك يعتقد الأستاذ ب.ج بأن التقنيات الرقمية يجب أن تكون مكملة للتقنيات التقليدية لا يجب أن تغنيها هذه التقنيات الحديثة عن اللقاءات والاحتكاك بمجتمع البحث.

خلاصة :

تنظر نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا إلى طرق البحث العلمي كجزء من كل يندرج ضمن سياق تفكير مبني ومحكم عقلاانيا. إذ نرى بأن ظهور تقنيات وأدوات البحث صاحب التطورات الحاصلة في المجتمعات الإنسانية، وخاصة منها الدول المتطورة، التي شهدت بدءا من القرن التاسع عشر ثورة علمية كإمتداد طبيعي للثورة الصناعية. وإن إرتبط الفكر

العلمي التجريبي بنشأة العلوم الحديثة في القرن السابع عشر مع تطور المنهج التجريبي، فإن تاريخ العلوم يبين لنا كيف أن المنهج ظل هاجس الباحثين على مر العصور وذلك رغم الاختلافات الجوهرية في تصور المشروع البحثي في حد ذاته. لذلك نجد أن التقنيات الرقمية للبحث العلمي، وإن كان مختلف فيها في موطن نشأتها، إلا أنها مؤشر أساسي لتبني الباحثين للتطور الحاصل في مجتمعاتنا الإنسانية والتي أصبح العالم الافتراضي ميزتها الأساسية. لذلك يمكن القول بأن تطور التقنيات الرقمية للبحث العلمي في السياق الجزائري مرتبط بشكل كبير بتطور العلوم الإنسانية، التي لا تزال رهينة السياسات العامة والتمثيلات السلبية لدى الكثير من الفاعلين في مجال البحث العلمي بخصوصها. إذ نلاحظ بأنها تستوجب وضع ميزانية خاصة من أجل إقتناء الأنظمة المعلوماتية و تطوير برامج تكوينية لفائدة الباحثين، وهو ما تفتقده مخابر البحث في العلوم الإنسانية في الجزائر. حتى وإن كان في حقيقة الأمر، عامل تمويل مشاريع البحث العلمي لإعطاء دفع أكثر له ليس كافيا من أجل النهوض بهذه العلوم. كما أن الرهان الثاني يكمن في درجة ديمقراطية وسائل الاتصال الحديثة و السياسة العمومية المنتهجة للوصول لذلك.

الهوامش:

1. مرجعيتنا في ذلك قلة الإنتاجات العلمية بالنظر للمعايير الدولية، وضعف محتويات الموجودة إذ تفتقد الكثير من المجالات العلمية للتحكيم العلمي، مما يصعب تصنيفها ضمن قائمة المراجع العلمية المحكمة. كما أن الضعف الثاني الذي يجعل المجال المعرفي غير منظم في الجزائر يعود إلى ضعف نشاط الفهرسة لما تنتجه الكثير من المخابر العلمية في الجزائر وذلك سواء تعلق الأمر بالمجلات المكتوبة بالعربية أو تلك المكتوبة باللغة الفرنسية. فإذا رجعنا لمجال الإعلام، نجد أنه لا توجد مجلات ضمن الفهرسات العالمية، منها على سبيل الذكر موقع كيرن.

2. هذا لا يعني أنها تحظى حاليا بمكانة مميزة ولكن وضعيتها شبيهة بوضعية بقية العلوم

3. Ahmed Ben Naoum, "L'anthropologie coloniale dans la perception officielle de l'anthropologie en Algérie", in Quel avenir pour l'anthropologie en Algérie, (Dir) Nadir Maarouf, Faouzi et Khedidja Adel, Ed. CRASC, 1999.

4. ليسانس، ماستر، دكتوراه.

5. يمكن هنا الملاحظة بأن شخصية المحقق الميداني غريبة عن المجتمع الجزائري الذي يفتقد تقاليد المشاركة في التحقيقات الميدانية. إذ كثيرا ما يثار الشك حول أهداف المحققين بما في ذلك الباحثين أو حتى العاملين في قطاع الإحصاء الرسمي.

6. Jürgen Habermas, L'espace public, archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Ed. Payot, 1988, Paris.

7. Hannah Arendt, La condition de l'homme moderne, 2002, Ed. Pocket, Paris.

8. ق. هـ، أستاذة مساعدة بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام، كاتبة وصحفية.

9. يمكن الإشارة هنا إلى أن عملية التفنيت تعتبر من أصعب التمارين الذهنية التي يختبرها الباحث، إذ كثيرا ما تنتقد هذه المنهجية من حيث أن خلق فئات لبيانات

ميدانية يكون من خلال وضع مؤشرات كمية كانت أو كيفية مما قد يحتم على الباحث وضع عناصر قريبة التشابه في فئة واحدة ويغفل بذلك عناصر الاختلاف التي قد تكون ذات دلالة كبيرة.

10. نخص بالذكر هنا كل wordstat, Sphinx, SPSS, Alceste.

من :

<http://www.qualisresearch.com/>.

11. Franck Rebillard, L'étude des médias est-elle soluble dans l'informatique et la physique ? A propos du recours aux digitales méthodes dans l'analyse de l'information en ligne, Questions de communication

L'étude des médias est-elle soluble dans l'informatique et la physique ? A propos du recours aux digital méthodes dans l'analyse de l'information en ligne, Questions de communication.

12. التركيز على هذه الجزئية بالضبط مرده الفرضية التي كانت منطلق هذا المقال وهي أن التقنيات الرقمية لجمع المعلومات يمكن أن تكون بديل للمعيقات البحثية التي تعترض الباحث الجزائري.

13. أو ما يسمى باللغة الفرنسية الجيل "ز" الذي يرمز للشريحة العمرية المولودة مع ظهور الإنترنت والتي تعتبر الأكثر تأقلا مع استخدامات الإنترنت.

14. يعتبر قول فو رمز نظام يسمح بإنشاء استثمار استبيان وتوزيعها أليا على مجتمع بحث إفتراضي بدوره، حيث أن عينة المبحوثين ومجمعه من مستخدمي الإنترنت. مما يقصي الشريحة غير المستعملة للإنترنت من مثل هذه التحقيقات وهو ما يعاب على هذه الطريقة للتحقيق.

15. Sébastien Rouquette, *L'analyse des sites internet, une radiographie du cyberspace*, Ed. De Boeck, Bruxelles, 2009.

16. Analyse hypertextuelle de l'arborescence d'un site, qui consiste à observer les liens hypertextes auxquels renvoie le texte initial.

17. https://www.itu.int/dms_pub/itu-d/opb/ind/D-IND-ICTOI-2015-SUM-PDF-F.pdf.

18. س.ز. ي، طالبة دكتوراه بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام.

19. أ. ب، طالبة دكتوراه بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام.

17 جانفي 2017.

20. ش. ل طالبة دكتوراه بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام.

17 جانفي 2017

21. <http://www.internetworldstats.com/africa.htm#dz>.

22. مورييس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة

للنشر، الجزائر، 2004

23. ق. ه. سبق ذكرها

24. ط. ف.ز، أستاذة محاضرة بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام.

25. ب.ج، أستاذ مساعد بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام

قائمة المراجع :

1. مورييس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار

القصة للنشر، الجزائر، 2004.

منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، طبعة

ثانية منقحة. ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشروف، سعيد

سبعون. دار القصة للنشر، الجزائر، 2004.

2. أوقاسي لونيس، بوكراع إيمان وبوبكيرية رانيا، منهجية البحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، دار الأيام للنشر و التوزيع،

الأردن، 2016.

3. Mohamed Madaoui, Les sciences sociales en Algérie ; regards sur les usages de la sociologie. in Sociologie pratique, Comprendre les engagements

aujourd'hui. <https://www.cairn.info/revue-sociologies-pratiques-2007-2-page-149.htm>.

4. Pierre Bourdieu, Classement, déclassement, reclassement », *Actes de la recherche en sciences sociales*, n° 24, novembre 1978.

5. France Rebillard, L'étude des médias est-elle soluble dans l'informatique et la physique ? A propos du recours aux digitales méthodes dans l'analyse de l'information en ligne, *Questions de communication*.

6. Rainie, Wellman, 2012, *The new social operating system*, MIT press.

7. Josiane Jouet & Coralie Le Carof, L'observation ethnographique en ligne, *Manuel d'analyse du web en Sciences Humaines et sociales*,

8. Habermas Jürgen, *L'espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la bourgeoisie*, trad. de Launay Marc, Paris, Payot, 1993.

9. Antonio A. Casilli (2010) *Les liaisons numériques : Vers une nouvelle sociabilité*, Editions du Seuil.

10. Josiane Jouet, Carole Le Caroff (2013), *Manuel d'analyse du web*, Ed. Armand Collin, Paris.

11. Hannah Arendt, *La condition de l'homme moderne*, 2002, Ed. Pocket, Paris.